

هل تكفي النوايا الحسنة للتوصل إلى سلام شامل في ليبيا



التمسك جيدا بالفرصة

المسلمات الظاهرة على السطح وعدم محاولة الفوص في التفاصيل، لأن هناك قوى ليبية مؤثرة لم يتم الاعتدال بدورها من قبل.

وتجري حاليا حوارات مع أطراف اجتماعية والوان سياسية ليبية من مشارب متباينة لضمان تمثيل عادل في المفاوضات المرتقبة، كضمانة لنجاح التحرك الأملاني المدعوم من قوى كثيرة، بدأت تمثل لها الحرب في ليبيا مازقا سياسيا، تسبب في اتهام البعض بالقاعس والتاقلم مع نوايا اللعب العسكرية الجارية.

هناك مقترح أن يكون مجلس النواب القناة الشرعية والممثل الفعلي لمكونات الشعب الليبي المختلفة، ويحظى بشرعية دستورية، فقد جرى انتخابه مباشرة، وحظى المقترح بفهم كثير من القوى المعنية ومتوقع أن يتم اعتماده في مؤتمر المانيا، لأن الوقت ضيق ولن يسمح باختيار ممثلين آخرين، ويمكن أن يتسبب طرح بعض الأسماء في مشكلات إضافية ويثير لغضا سياسيا. وهو ما يفرض تكاتف المجتمع الدولي حول رؤية نهائية للمؤتمر، وعدم تحويله إلى منتدى سياسي أو حوار فضفاض، يسعى فيه كل طرف إلى إبراء ذمته من دوامة الاقتتال.

حذر خير أميني يعرف دهالين ليبيا في تصريح لـ "العرب"، من أن عملية تحرير طرابلس بمعركة الجيش الليبي، كان مقدر لها لدى بعض الجهات العسكرية ستة أشهر على أقصى تقدير، أي تنتهي في أكتوبر المقبل، لكن محاربة الجيوب الإرهابية الناجمة عنها قد تحتاج لنحو عامين، في ظل التكدس الكبير للأسلحة، وتم توصيل هذه الرسالة للمشير خليفة حفتر من قبله.

قال الرجل هذا الكلام مع بداية "عملية الكرامة"، وقبل يومين أعدت عليه سؤال متى تنتهي والمعارك تزداد حدة؟ قال إنها بحاجة لوقت أكبر، فقد اختلفت الرؤية السابقة مع النهم الشديد من قبل الكتاب المسلحة والقوى المتحالفة معها وفي مقدمتها أنقرة، فهي تدرك أن وقف الحرب الآن معناه تسليم سياسي وهزيمة ساحقة لمشروعها.

ولذلك سيتواصل القتال لمدة أكبر، ما لم تتدخل القوى الكبرى عن موقفها الذي يرنح لاستمرار المعارك، ضمن عملية استنزاف متواصلة، وتشترع في حلول سياسية خلاقية، قادرة على تنفيذها بنوايا وإرادة ورغبة حقيقية وليست مزيفة.

يريد مؤتمر المانيا عدم الركون إلى المنهج الذي اتبعته فرنسا وإيطاليا الذي استسهل الأزمة وقام بالتعامل مع

أخضر باستمرار المعارك لتحقيق أهداف سياسية عدة، وجني أرباح اقتصادية مغرية من وراء صفقات السلاح السرية.

وصلت العقدة إلى مداها بين الطرفين الآن، حيث اختلقت الأوراق وتتشابكت الترتيبات، واحتدمت المعارك بدرجة تصعب السيطرة عليها بسهولة، ولن تفلح معها نداءات ضبط النفس والتراجع على أرواح المدنيين وكل مفردات الخطاب الإنساني الليقيدي، ودخلت نفقا مظلاما وجدت فيه قوى كبرى مناسبة جيدة لنصفية القوة الضاربة لدى بعض الأطراف، حتى تصبح منهكة تماما وغير قادرة على صد أي مبادرات جديدة تتوق إلى تسوية الأزمة بالطريقة التي تريدها وترسم من خلالها المعالم اللازمة للحفاظ على مصالحها.

يمكن فهم الانقلابات العسكرية الحالي في سياق رغبة البعض في هز الأجنحة الرئيسية لجميع المتقاتلين، والتخلص من قدراتهم المسلحة، بما يصب في صالح التحركات الرامية للحل السياسي، وتنتقل من هدم الهياكل القديمة التي تتدرج بالمليشيات، حيث أعادت الفرص التي أتاحت للتسوية، وفتحت الباب لخبة جديدة لم تتلوث بالدماء خلال السنوات المنصرمة.

وفرملة دعمها العلني له، انطلاقا من مخاوف أن يكون ذلك "فخا" يجرحهم إلى دخول ليبيا بسهولة من دون معرفة الوسيلة التي يمكن الخروج بها.

تم نقل هذه الهواجس إلى المشير خليفة حفتر مباشرة، بل وتحذيره من مغبة الانسياق وراء تحقيق نصر سريع في معركة طرابلس المعقدة. لكن التقديرات التي كانت لديه والتطمينات والإغراءات التي تلقاها من بعض القوى الكبرى كانت سببا في قراره، وبدت المعارك والمواقف الدولية تضي في صالحه، وظهرت ملامحها في الصمت على عملياته العسكرية، وأحيانا تآنيدها وتمنيها بحكم أنها تلعب دورا في مكافحة الإرهاب الذي تسعى قياداته وعناصره للتمركز في الأراضي الليبية.

أخذت التوازنات تحتل نسبيا عندما ضاعفت تركيا وقطر، وإيران أحيانا، من دعمها العسكري للتيار الإسلامي، فقد وصلتها الرسالة البعيدة لفتح المجال أمام حفتر بوضوح لإنهاء مهزلة الكتاب المسلحة ووقف انتشار المتطرفين في طرابلس وغيرها، عقب نجاح الجيش في قطع دابرهم في الشرق والجنوب، واستفادت هذه البلاد والمتحالفون معها من عدم تحرك المجتمع الدولي حيال فرملة تدفق السلاح على موانئ ومطارات ليبيا، بل اعتبرته ضوفا

لرئيسها غسان سلامة، مهمة وقف إطلاق النار ضمن أولوياته الجديدة، وتجاهل الإشارة مباشرة إلى المجلس الرئاسي كجسم في المعادلة السياسية، ما يعني أن الدول التي درجت على تأييد حكومة الوفاق برئاسة فايز السراج، مثل بريطانيا صاحبة مشروع القرار، وإيطاليا التي عولت على الرجل، تخلت عن منحه دعما مفتوحا، وثمة تحولات حقيقية في الموقف الدولي يمكن أن تفضي إلى تغير لافت في التوازنات الراهنة على الأرض.

بصرف النظر عن الدوافع التي قادت المانيا إلى التصدي لمهمة استضافة مؤتمر حول ليبيا في هذا التوقيت، وهي كثيرة ومهمة ومتشعبة على المستوى المحلي والأوروبي والمتوسطي، فإن المعارك المحددة حاليا بين الجيش الوطني الليبي وقوات الوفاق تفرض التدخل سريعا قبل أن تتدهور الأوضاع وتصبح السيطرة عليها، بما يضع العراقيل أمام مؤتمر المانيا، ويقلل من دوره في وضع تصور واقعي للتسوية السياسية.

لكن لا توجد الآلية الإقليمية أو الدولية لوضع حد للتصعيد، وحتى مناقشة هذه المسألة تحتاج لمزيد من الوقت، وسط أزمات لا تقل ضراوة في المنطقة، وانقسام في المواقف السياسية، وغيوم كثيفة تحيط بالآلوات الناجمة التي يمكن أن تؤدي إلى وقف الحرب، وتجبر أطرافها على الرضوخ للتسوية وترك السلاح.

ربما تكون المعارك التي رمت فيها تركيا بقنقلها أخيرا من خلال تدفق شحنات جديدة من الطائرات المسيرة دخلت الساحة كمحدد حاسم في بعض الأحيان، وجد فيها البعض مبررة كبيرة تمهد الطريق للمؤتمر الدولي ولا تعرفه، حيث تقود إلى زيادة إنهك الإرهابيين والمتطرفين.

وبالتالي يخرج كل طرف طاقته العسكرية ويستخدم نيرانه الحربية أملا في الحصول على نصر قد يصحح من أوضاعه الميدانية والسياسية، بعد سلسلة من الضربات القاصمة التي تعرض لها المتطرفون في الفترة الماضية على أيدي الجيش الليبي، وتعييض جزء من الخسائر التي تكبدوها لا يكونوا بعيدين عن حسابات سوف تنأى بهم عن أي طائلة جادة للمفاوضات.

منح التأييد الدولي الضمني للعملية العسكرية التي أطلقها الجيش الليبي في 4 أبريل الماضي لتحرير طرابلس، الوقت الكافي للمشير خليفة حفتر ليتمكن من إنهاء أسطورة الميليشيات والجماعات المتطرفة، غير أن الواقع وتقلباته ومستجداته وطقوسه فرضت على الدول الداعمة لحفتر عدم الاندفاع وراء المترابطة العسكرية المتاحة،



محمد أبو الفضل كاتب مصري

أجهدت متابع الأزمة الليبية الكثير من المنخرطين فيها وحيرت المراقبين لها، وتكاد بوصلتها تكون كل يوم في شأن. وجميع المؤتمرات التي عقدت والمبادرات التي طرحت لم تفلح في إحراز تقدم إيجابي ملموس، وربما زادت الأمور غموضا، نتيجة محاولات بعض اللاعبين جر الأزمة إلى قنوات تعمل لصالحهم من دون اعتبار لمعاناة الشعب الليبي. وحتى النوايا الحسنة التي توافرت من قبل دول عربية وجمعت أطرافا ليبية متعددة لم تنجح في تحقيق أهدافها، ووجدت من كانوا لها بالمرصاد.

يتجدد الحديث عن الأمل والتفاؤل اليوم بعد الإعلان عن استضافة المانيا لمؤتمر دولي خاص بالأزمة الليبية في غضون أسابيع قليلة، وتسعى المستشارة أنجيلا ميركل إلى الإعداد له بصورة جيدة لتتخاضه مؤتمر باريس وبالرمو العام الماضي، وتحضره قوى مؤثرة لضمان الحصول على نتيجة قابلة للحياة، وسط تضارب فاضح في الأهداف والمصالح.

المعارك المحددة حاليا بين الجيش الوطني الليبي وقوات الوفاق تفرض التدخل سريعا قبل أن تتدهور الأوضاع وتصبح السيطرة عليها، بما يضع العراقيل أمام مؤتمر ألمانيا، ويقلل من دوره في وضع تصور واقعي للتسوية السياسية

يبدو الحذر والتريث والانفتاح الطاعي على توجهات برلين مدخلا مناسباً لعدم الاستعجال ودخول الأطراف المعنية، وهي محملة باحكام سلبية مسبقة، لكن من الضروري أن تتوافر له رؤى يمكن تطبيقها بشكل عملي، وتقود للتوصل إلى تسوية سياسية تفتح الطريق إلى سلام شامل، عقب فترة من الاقتتال امتدت نحو ثمانية أعوام، تكبدت البلاد خلالها نحو 400 مليار دولار، أنفق أغلبها على جلب السلاح والمرتزقة وتمويل الصفقات. وضع قرار مجلس الأمن الأربعة الماضي الخاص بتعميد مهمة بعثة الأمم المتحدة في ليبيا، بعد التجديد

انعكاسات الظاهرة الترامبية على السياسة الخارجية الأميركية

معهم. وفي الأسابيع الأخيرة، ساد الارتباك والغموض في العاصمة الفيدرالية بسبب المفاوضات التي كانت جارية بين إدارة ترامب وحركة طالبان الأفغانية، وتحديدا بعد قرار ترامب وقف التفاوض والغاء اجتماعات مقررة في كامب ديفيد.

أتى التوصل الأميركي بعد متابعة طالبان لهجماتها على الجنود الأميركيين في كابول. لكن يتضح أن البعض في وزارة الخارجية كما في المؤسسة العسكرية أو مجلس الأمن القومي لم يكن مطمئنا لقرار سحب جزء من القوات مخافة أن يتعرض ما تبقى من القوات للاستهداف وتكرار سيناريو ساوغون في السبعينات مع انتصار كاسح لطالبان يذكر بانتصار الفيتكونغ وكابوس فيتنام. بغض النظر عن هذه المخاطر، كان الرئيس ترامب يريد تكرار تجربة سلفه جيمي كارتر مع بيغن والسادات لكن الفارق كبير بين الحاليتين، وكل تفاوض حول أفغانستان بهذا الشكل كان سيؤدي إلى نصر سياسي مضمون لعدو استهدف عبر القاعة الداخل الأميركي وكانت اللقاة ستترافق مع الذكرى الثامنة عشرة لاعتداءات 11 سبتمبر.

لا تتوقف انعكاسات الظاهرة الترامبية على ملف بعينه في السياسة الخارجية، بل على مجمل النهج والإداء مع افتقاد التوجه الاستراتيجي المنماسك والرؤيوي.

ويعتبر خير أميركي مستقل أن "هاجس دونالد ترامب الفوز بولاية ثانية ليس حل الأزمات العالمية أو منح الأولوية للمصالح الأميركية العليا". ويستند إلى اللقاءات مع زعيم كوريا الشمالية التي بقيت في خاتمة الإعلام والصورة من دون الخروج باختراق ملموس.

العلاقات المضطربة مع شركاء واشنطن في الاتحاد الأوروبي والناتو، وما الانسحاب من اتفاقية مكافحة التغيير المناخي ومن عدة اتفاقيات تجارية، إلا أمثلة ساطعة على البلبلة التي أحدثتها الظاهرة الترامبية إلى حد غير بعيد عن العتبة

وبالطبع، فالحرب التجارية ليست مضمونة النتائج مع الصين الصاعدة والعلاقة الملتبسة مع روسيا المنهكة اقتصاديا بالعقوبات وفشل تركيبها يمكن أن تحبذ تقاربا صينيا - روسيا لغير صالح واشنطن التي تهمل حلفاءها أو تستهين بشروط الشراكة

النزعة الانعزالية المتنامية مع عقيدة ترامب، والنزعة العالمية التقليدية على الصعيد العملي، بدأ حصاد الإدارة الحالية في السياسة الخارجية ضحلا ويخلو من إيجابيات أو حوافز. وإذا كان أكثر من مرابف قد ركن على الموقف من إيران لتبيان التذبذب أو التخبط في السياسات، لكن معالجة الملفات مع الصين وأفغانستان وفنزويلا وكوريا الشمالية ليست أفضل وتبرهن عن مازق ليس فقط بالنسبة لفرق ترامب بل لمجمل صناعات القرار الأميركي داخل المؤسسات.

جري التركيز على إعلان فشل مع طالبان الذي كشف عن تباين داخل الإدارة وأحدث هزة داخل الدوائر المعنية في واشنطن. لكن مراقبة الأداء حيال الأزمة الكورية والشرق الأوسط والحرب التجارية مع الصين والصلة مع روسيا أو الأزمة مع فنزويلا تبيّن أن المشكلة تكمن في أداء الرئيس المقرر الأول في السياسة الخارجية، وكذلك في قدرة واشنطن على تسويق سياساتها وفرض هيمنتها.

طبعاً ابتهج الإيرانيون برحيل بولتون، لكن هذا لا يعني أن قواعد التفاوض معهم ستتغير. ويقول مصدر أوروبي إن واشنطن أبلغت من يعنيه الأمر أن "أي اتفاق نووي جديد مع إيران لا بد أن يتضمن حلولاً للصواريخ الباليستية ودور وكلاء إيران في المنطقة".

ويمكننا القول إن الظاهرة الترامبية تدرج في سياق تصدع العولمة والانتفاء نحو الهويات القومية والتطرف الوطني في أكثر من بقعة في العالم. ونظرا لموقع القوة العظمى الوحيدة في العالم تتكامل ظاهرة ترامب مع ظاهرة بوتين "القيصر الجديد" بالرغم من نكساته الأخيرة والحالة الإمبراطورية للأمن العام شي جين بينغ الرئيس الصيني مدى الحياة، وكذلك مع الصعود الشعبي في البرازيل وأوروبا والتطرف في بعض أنحاء العالم الإسلامي.

واللافت أن الممارسة في حقبة ترامب لا تلتزم تماما بمنهجيات العمل المتوارثة واليات حفظ التوازن في المؤسسات نظرا لطغيان الأسلوب الاستعراضي وأخذ الجانب السليبي من الثورة الرقمية عبر اتخاذ التغريدات السبيل لإعلان عن المواقف والقرارات. وهذا ما حصل بالذات مع جون بولتون وكان متوقعا لأنه من الصعب التعايش طويلا بين البرامغاتيكي ترامب والإيديولوجي بولتون، لكن الأخطر هو ما كشفتها هذه الاستقالة - الإقالة (سبق لترامب الاستغناء عن الكثير من الموظفين ومستشاريه) عن الاختلال الوظيفي وعدم التماسك في إدارة ترامب. ومن ناحية أشمل بتبين تأثير "الترامبية" على العلاقات الدولية المعاصرة لجهة التفاعل والمبارزة بين اتجاهاين يتفعلان في واشنطن ما بين

الأبرز في هذا الصدد تحويل أموال الميزانية العسكرية لبناء الجدار مع المكسيك الذي رفض الكونغرس بأغلبيته الديمقراطية تمويله. علما أن هذه الأموال كانت مخصصة لبناء قواعد عسكرية في الداخل أو لبناء منشآت في أوروبا تقوي حلف شمال الأطلسي وأوكرانيا.

ومما لا شك فيه أن عدم اهتمام ترامب بالدبلوماسية الأميركية التقليدية وأساليبها، وكذلك عدم احترامه قواعد الدبلوماسية الدولية المتعددة الأطراف، لا يساعد في فك أحجية بلورة السياسة الأميركية إزاء القضايا الدولية. وما العلاقات المضطربة مع شركاء واشنطن في الاتحاد الأوروبي والناتو، وما الانسحاب من اتفاقية مكافحة التغيير المناخي ومن عدة اتفاقيات تجارية إلا أمثلة ساطعة على البلبلة التي أحدثتها الظاهرة الترامبية إلى حد غير بعيد عن العتبة.

على الصعيد النظري، لم يسمح تأخر استكمال فريق عمل ترامب بتبديد الإبهام المحيط حول سلوك واشنطن العالمي. بعيدا عن شعارات "أميركا أولا" و"استعادة عظمة أميركا" لا تبرز رؤية استراتيجية متميزة، ولا قراءة عميقة للعلاقات والصراع الدولي ومال النظام العالمي الجديد، الذي بذلت لتأسيسه الولايات المتحدة الكثير منذ تسعينيات القرن الماضي بعد نهاية الحرب الباردة.



د. خاتير أبو دايه استاذ العلوم السياسية، المركز الدولي للدراسات الاستراتيجية - باريس

أتى إبعاد مستشار الأمن القومي جون بولتون بعد الإعلان عن إلغاء اجتماع كامب ديفيد مع حركة طالبان ليسلط الأضواء على صعوبة الإحاطة بالسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأميركية في حقبة الرئيس دونالد ترامب وقراءة معالمها بوضوح. والأدهى أن وزير الدفاع السابق جيمس ماتيس الذي دفعه ترامب إلى الاستقالة أخذ يركز على عيوب ونقائص عدم امتلاك الدولة استراتيجية تتعلق بالقضايا المهمة والأخرى الأكثر أهمية. وهكذا تنعكس الظاهرة الترامبية داخل البيت الأميركي وفي منظومة العلاقات الدولية على مسارات السياسة الخارجية لواشنطن وتقلل من فعاليتها وتأثيرها تبعاً لشخصيتها وربطها بإعادة انتخاب ترامب في 2020.

تمثل المدة القصيرة من أربع سنوات للولاية الرئاسية الأميركية عائقا لتمكين سيد البيت الأبيض من تحقيق إنجازات ملموسة وفق رؤيته أو تطبيقا لاستراتيجية الأمن القومي. وفي حالة الرئيس دونالد ترامب، إزداد الأمر تعقيدا نتيجة التركيز على أولوية تنفيذ الوعود الانتخابية من دون مراعاة الحلفاء والحاجات الدفاعية، والمثل